السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
- صاحِبَ الفضِيلةِ الإمامِ الأَكبرِ شيخِ الأزهرِ الشَّريفِ، الأستاذِ الدُّكتورِ/ أحمد الطَّيِّبِ.
- السَّادةُ العلماءُ.
- السَّيِّداتُ والسَّادةُ الأفَاضِلُ، حضُورَ هذَا المؤتَمَرِ؛ مؤتمرِ الأزهرِ الَّذِي تَدَاعَى لنُصرةِ القُدسِ.
أُحيِّيكُم تحيَّةً عَطِرَةً جِئتُ بهَا من بلادٍ لهَا معَ القُدسِ تَاريخٌ وعنوانٌ، ولهَا فِي القُدسِ حارةٌ وروَاقُ علمٍ، وبابٌ ومصطبةُ علمٍ؛ مِن المغرِبِ الَّتِي يُصِرُّ أبناؤُهُ - شأنُهُ فِي ذلكَ شأنُ أبناءِ الأُمَّةِ كلِّهَا - علَى حقِّهِم فِي القُدسِ وإصرارِهِم علَى هُويَّاتِهِم.
لن أبدَأَ كلماتِي -وهيَ تَتَناوَلُ الشِّقَّ الإعلاميَّ ودَورَهُ فِي استعادَةِ الوعيِ- بأنَّ أُحدِّثَ حضراتِكُم عن مكانَةِ الإعلامِ ودَورِهِ المُتَعاظِمِ فِي التَّعريفِ بأيِّ قضيَّةٍ من القَضايَا وزِيادةِ الوعيِ بهَا من خلالِ صِيَاغَةِ التمثلات وتَوجيهِ الرَّأيِ العامِّ، والتَّأثيرِ فِي صناعةِ القَرارِ، وغيرِ ذلكَ ممَّا تعلمُونَهُ جميعًا.
ولكِنَّنِي سأَستَهِلُّ بمُفَارقَةٍ أرَاهَا دالَّةً فِي هذِهِ المرحلَةِ؛ المُفارَقَةُ بينَ وجهَينِ: وجهٍ تَتَعاظَمُ فيهِ أو يَتَعاظَمُ فيهِ حضُورُ قضيَّةِ القُدسِ وفلسطينَ عبرَ العَالَمِ، فِي تناوُلِ وسَائلِ الإعلامِ، فِي الإعلامِ الجَديدِ، فِي وسائِلِ التَّوَاصُلِ الاجتمَاعيِّ، مِن خلالِ الحَركاتِ الَّتِي تُرَى فِي كُلِّ مكانٍ عبرَ العالَمِ، يُوازِيهِ الوَجهُ الآخَرُ لهذِهِ المُفَارقَةِ - معَ الأسَفِ - هُوَ تَراجُعُ مكانةِ القضيَّةِ فِي تَناوُلِ الإعلامِ العَربيِّ، وفِي عَالَمِ المُسلمينَ، وفِي منطِقَتِنَا عُمُومًا، ضَعفٌ أو تَراجُعٌ يَشتركُ فيهِ الإعلامُ التَّقليديُّ بقَنَوَاتِهِ وجَرَائِدِهِ، والإعلامُ الجَديدُ كذَلِكَ.
التَّناولُ الإعلاميُّ أو زيادةُ حِدَّةِ حضورِ القُدسِ وقضيَّةِ فلسطينَ فِي الإعلامِ عبرَ العالَمِ، طبعًا سببُهُ أوَّلًا صُمُودُ المَقدِسِيِّينَ فِي أرضِهِم حتَّى عادُوا عَلَامَةً هادِيَةً إلَى قَضيَّتِهِم، وَصُمُودُهُم فِي أرضِهِم دَلِيلٌ قَاطِعٌ علَى عدالَةِ هذِهِ القضيَّةِ، بالإضافَةِ إلَى دَورِ وَسائِلِ الإعلامِ المعرُوفِ.
فهذَا التَّراجُعُ يقتَضِي فِعلا، عملًا مُنظَّمًا علَى صعِيدِ الدَّورِ الإعلاميِّ وآليَّاتِهِ فِي استعادَةِ هذَا الوَعيِ، وإذَا أردنَا نماذِجَ عن هذَا يُمكنُ أن نذكُرَ بعضَ التَّطوُّرَاتِ الأخيرَةِ وَمَوقِعَهَا من التَّناوُلِ الإعلاميِّ، وكيفَ غابَ هذَا التَّناوُلُ فِي صِياغَةِ وَعيٍ حقيقيٍّ بِالنِّسبَةِ لأجيالِ الشَّبابِ، خُصوصًا بِالنِّسبةِ لهذِهِ القضيَّةِ ومَسَارَاتِهَا، فهُنَاكَ اليوم قضيَّةٌ مُعلَنَةٌ؛ هيَ قضيَّةُ بِناءِ خَطِّ سكةِ حديدٍ

بينَ تَلِّ أبيبَ والقُدسِ، أعلنَ عنهُ وزيرُ الاتِّصالاتِ فِي الكيانِ المُحتَلِّ قبلَ مُدَّةٍ، وأعلنَ أنَّهُ سوفَ يَستَمِرُّ العملَ فيهِ لمُدَّةِ أربعِ سنواتٍ، وأنَّهُ سيهدِفُ إلَى زِيادَةِ استقدَامِ أحدَ عشرَ مليونَ سائحٍ إلَى القُدسِ، بمَعنَى تَغيِيرٍ كاملٍ فِي الطَّبيعةِ الحضارِيَّةِ والثقافيَّةِ والهُويَّةِ الحضاريَّةِ للمَدِينَةِ.

لكنَّ الأخطَرَ فِي هذَا المَشرُوعِ؛ هوَ أنَّهُ سوفَ يَمُرُّ تحتَ أهَمِّ مَعلَمَينِ مَقدِسِيَّينِ فِي المَدينَةِ، وهُمَا: المسجدُ الأقصَى وكنيسةُ القيامَةِ.

المثالُ الآخرُ يتَّصِلُ بتَدَاعياتِ قرَارِ (تِرامبَ) بالنِّسبَةِ للاعترَافِ بالقُدسِ عاصِمةً للكيانِ المُحتَلِّ، ومَا تَلاهُ من خفضٍ فِي ميزانِيَّاتٍ أو الدَّعمِ بالنِّسبةِ للفلسطِينينَ بدَعوَى أنَّهُم لَا يَتَجاوَبُونَ معَ مَسارِ السَّلامِ، وأحدُ أخطَرِ هذِهِ الجَوانِبِ أنَّهُ استهدَفَ بالخُصوصِ خنقَ مِيزانِيَّةِ وكالةِ غَوثٍ وتَشغِيلِ اللَّاجِئينَ الأُونروَا، وكانَ هذَا بِتَوجِيهٍ واضِحٍ ومُباشِرٍ من قِيادةِ الكيانِ المُحتَلِّ الَّتِي تَعتَبِرُ أنَّ بقاءَ وكالةِ غوثٍ وتشغِيلِ اللَّاجئينَ مَعنَاهُ بقَاءُ ملفِّ اللَّاجِئينَ مَفتُوحًا، وهُوَ أمرٌ يُهدِّدُ هويَّةَ هذَا الكيانِ، هذِهِ من عَيِّنَاتِ القَضَايَا الَّتِي تُبَيِّنُ إلَى أيِّ مدًى يَنبغِي أن يمتَدَّ دَورُ الإعلامِ وأدائِهِ فِي هذِهِ القضيَّةِ.

هُناكَ نماذجُ أُخرَى لقضَايَا تُطرَح، لكنها تُطرَحُ من مداخلَ يسعفُهَا التَّفكيرُ والتَّروِّي والتَّأنِي بشكلٍ كاملٍ، تُطرَحُ لتكونَ قضايَا يتفَاعَلُ معَهَا الرَّأيُ العامُّ بعدَ ذلِكَ، ومثالُهَا: قضيَّةُ زيارةِ القُدسِ، الَّتِي سمِعنَا عنهَا كثيرًا الأمسِ واليومَ، وهيَ قضيَّةٌ إن طُرِحت بالشَّكلِ المطرُوحَةِ بهِ الآنَ قد تُؤدِّي إلَى عكسِ المطلُوبِ منهَا.

وقَد أشارَ فضيلةُ وكِيلِ الأزهَرِ فِي صباحِ اليومِ إلَى ضرورةِ ربطِهَا بقضيَّةِ المصلَحةِ، وهذَا جهدٌ معرِفِيٌّ وفِكريٌّ مهمٌ، بناؤُهَا علَى قاعِدةِ المصلحَةِ يقتَضِي بدايةَ تخليصِ المصلحةِ من المَفسدةِ فِي المَوضوعِ، وأنَّ القضيَّةَ إذَا فُتِحت بهذَا الشَّكلِ رُبَّمَا تُؤَدِي إلَى عكسِ المطلُوبِ منهَا، بل إنَّ هذِهِ الرؤيَةَ من خلالِ الإصرَارِ علَى حقِّ أهلِ فلسطِينَ أنفُسِهِم فِي زيارةِ القدسِ، لِنبدأ بالتَّأكيدِ علَى زيارَةِ أهلِ الضَّفَّةِ وغزَّةَ وحقِّهِم باعتِبَارِهِم فلسطينيِّينَ بالدُّخولِ إلَى القُدسِ، وإلَى زِيارةِ مَعالِمِهِ المُقَدَّسَةِ، والصَّلاةِ فِي المسجدِ الأقصَى، وفِي كنيسةِ القيامَةِ، وغيرِهَا.

القضيَّةُ إذًا هيَ غِيابُ رُؤيَةٍ مُتَكامِلَةٍ، خُطَّةُ عملٍ تَستصحِبُ هذِهِ التَّحديَّاتِ والإشكاليَّاتِ والأولَوِيَّاتِ، ومِن ثَمَّ تكونُ قادرةً علَى تَوظِيفِ الإمكاناتِ المُتَاحَةِ واستثمارِهَا من مَنظُورٍ مُستوعبٍ وشَاملٍ.

أَتَطَرَّقُ إلَى بعضِ الخُطُواتِ الَّتِي أَرَاها مُهمَّةً من النَّاحِيةِ العَمَليَّةِ فِي قضيَّةِ الدَّعمِ الإعلاميِّ والدَّورِ الإعلاميِّ فِي إنشاءِ هذَا الوَعيِ الَّذِي نَنشُدُهُ جميعًا، ذلكَ التَّناوُلُ الإعلاميُّ الرَّاهِنُ يُركِّزُ علَى المدينةِ، نَعَم، علَى المَدينةِ تاريخًا وآثارًا ومعالمَ، ويُغفِلُ للأسَفِ جانِبًا مهمًّا وهُوَ التَّركيزُ علَى الإنسانِ الفلسطينِيِّ، باعتِبَارِ أنَّ قضيَّةَ القضَايَا فِي قضيَّةِ القُدسِ هيَ دعمُ صُمودِ المَقدِسِيِّينَ فِي أرضِهِم والحفاظُ علَى وُجُودِهِم هُنَاكَ، ودعمُ هذَا الصُّمودِ بكُلِّ وسيلةٍ مُتاحةٍ، عندَمَا نَتناوَلُ قضيَّةَ القُدسِ اليومَ ينبَغِي أن يكونَ واضحًا أنَّ هناكَ مطالِبَ مُلِحَّةً.

هُنَاكَ ١٥٠٠ فصلٍ دراسِيٍّ تحتاجُهَا المدينةُ، هناكَ جدِارٌ فَصَلَ ١٣٠ ألفٍ من المَقدِسِيِّينَ عن أرضِهِم، هناكَ حاجةٌ إلَى ١٢٠ ألفِ وحدةٍ سكنيَّةٍ، وهذَا معناهُ إعادةُ تَرتيبِ أَولَويَّاتِ التَّناوُلِ الإعلاميِّ لقضيَّةِ القُدسِ، حتَّى تمسَّ قضيَّةَ الإنسانِ الَّذِي نُريدُهُ صَامدًا بَاقيًا فِي أرضِهِ.

مَا يُمكنُ أن يَنتُجَ عن ذلكَ أمرانِ أسَاسِيَّانِ، بهِمَا أَختِمُ:

أَوَّلُهمَا: أنَّ هذَا الَّذِي يُسَهِّلُ الظُّروفَ أمامَ كلِّ أنواعِ الدَّعمِ الأُخرَى المُبادَرَاتُ الشَّبابِيَّةُ والحُقوقِيَّةُ والدَّعمُ المَاليُّ وإعمَارُ المُقَدَّسَاتِ وغيرِهَا.

ثَانيًا: أنَّهُ يزيدُ التَّكلفَةَ السِّياسيَّةَ والإعلاميَّةَ والمعنويَّةَ والأخلاقيَّةَ علَى كلِّ مَن يُسانِدُ الاحتلَالَ أو يَدعَمُهُ فِي كلِّ مجالٍ، وبِالتَّالِي يبقى مساحة أكبر لبقاءِ الفِلسطينيِّينَ وصُمودِهِم فِي مَدِينتِهِم فِي القُدسِ، باعتِبارِ ذلكَ - كمَا قُلتُ - الكلمةَ المِفتاحَ وقضيَّةَ القَضايَا فِي نُصرةِ القُدسِ اليومَ.

شُكرًا لَكُم